DİA Tam incelendi

K-15

عبد الله بن رواحة

رائد شعر الجهاد الإسلامي

حياته ودراسة في شعره

Türkiye Diyanet Vakfı
Kutüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

الدكتور/ محمد بن سعد الشويعر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

منشورات
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

بحث مقدم لندوة الأدب الإسلامي
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية ـ الرياض
عام ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه وبعد:ـ

فإن الإنسان في هذه الحياة بين مد وجزر فقد تعجبه فكرة ما ويبدأ المسيرة والمشوار، ثم يتضاءل جهده مع طموح نفسه، ورغبته في نشدان الأسمى من الانتاج.

والموضوع الذي أتطرق إليه مقتطع من أصل كتبت فيه منذ عشر سنوات، بدافع ديني ومحرك وجداني.

ذلك أن الجهاد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على مدافعة المشركين ومناوئي الدعوة العقائدية الجديدة، التي جاءت من عند الله طاهرة نقية لتغير المجتمع بأسره، وتجتث جذور الوثنية، التي غطت الجزيرة العربية بصفة خاصة، لأن فيها أقدس مكان على الأرض، وشملت المسكون من المعمورة ـ بصفة عامة وإنما كان تشريعه لحكمه أشمل من ذلك.

جاء محمد صلى الله عليه وسلم، يحمل مشعل الهداية،

ونبراس الحق الذي أشرق من غار حراء فلاقى من قومه وأقرب الناس إليه ما لاقى وتصارع الحق مع الباطل ـ الحق الذي بدأ كالشرارة في الأفق، فاستجاب الذين أراد الله هدايتهم إليه، والباطل الذي كان أصحابه وحماته ممن استحوذ عليهم الشيطان، ونمت في نفوسهم الأثرة والنظرة الضيقة، وحب التسلط والهيمنة على كل شيء.

فكان لزاما على أصحاب الحق، الذين تمدهم بالقوة الوجدانية، آيات وعبر تتنزل من السماء فتثبتهم وتشدهم إلى هذا الحق شداً، وتخفف عنهم ما يلاقونه من عنت ومشقة، أو نقمة يصبها جبابرة قريش على هذه الفئة المؤمنة بربها لا لشيء إلا لخروجهم عن معتقدهم، ونبذهم الخضوع لأصنام لا تملك الدفاع عن نفسها، فكيف تستطيع جلب المنفعة للمستجيرين بها.

كان لزاماً عليهم الثبات والصبر ومجاهدة النفس، ولما كانت مقدرة هؤلاء على مدافعة المشركين بالقوة، أو الوقوف أمامهم بالمجابهة تفتقر إلى القاعدة للانطلاق، والسند لحماية الظهر والتكافؤ لرد التسلط بقوة رادعة فإن الطريق المناسب هو السير على الدرب الذي رسمه القرآن الكريم لهم، وانتهجه مثلهم الأعلى محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك بمجاهدة النفس، والصبر على الأذى، وتحمل مكائد

المشركين وأعمالهم، طمعاً فيما أعد الله من أجر، وانتظاراً لفرج يأتي من عند الله.

وهذا واحد من أهم الدروس العملية التي توطنت عليها نفوس الصفوة الأولى من هذه الأمة وهي دروس قاسية وصعبة التحمل، لكنها هينة عليهم، وقد تقبلوا الآلام والمتاعب، بنفوس راضية، وقلوب مطمئنة، ولم يتراجعوا حسبما يطلب منهم، عن هذا الدين الذي اعتنقوه، ولم يتخلوا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو الالتفاف حوله، مهما وجه إليهم من أذى، أو سلط عليهم من مجابهة.

تحملت نفوسهم وأبدانهم، أقسى ما في جعبة مشركي قريش، من أنواع الحروب النفسية والإيذاء اللساني والبدني، والحصار الاقتصادي والطرد من الديار، والمحاصرة في شعب أبي طالب حتى أكلوا ورق الشجر، ثم الهجرة إلى الحبشة مرتين، والتعبد سرا وكتمان الإيمان بالله من بعضهم.. إلى آخر ما تثبته كتب التاريخ والسيرة.

ولكن الليل لابد أن يعقبه صباح، والظلمة يَفْلِقُهَا ضوء النهار، فكانت أول بادرة ـ لذلك الهجرة للمدينة، التي أصبحت قاعدة للانطلاق الإسلامي، والركيزة العقائدية.

شعر المسلمون بأن لهم داراً تأويهم، وعشيرة تحميهم، ومنطلقاً للدعوة يجعلهم يجابهون أعداء الله بقوة دفاعية جديدة بدأت باللسان شعراً، ثم السنان قتالاً وقوة.

وعندها شعر المشركون أيضا أن محمداً.. صلى الله عليه وسلم.. وأتباعه بعدوا عن متناول أيديهم، وتسلط أشرارهم وجبابرتهم.. حيث يجدون في ذلك الإيذاء والتسلط تشفياً من الفئة المؤمنة، وتنفيساً عما خامر نفوسهم من حقد على الدعوة الإسلامية وأتباعها.. لأنهم يريدون اسكات هذا الصوت بالقوة، واماتة الدعوة المحمدية قبل انتشارها كما أخبر عنهم القرآن الكريم.

فبدأ مع الهجرة للمدينة نوع جديد من المجابهة بين شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وهم الذين يمثلون الفئة المؤمنة التي بدأ عددها يتكاثر، ورقمها يزيد، في منتجعهم الجديد، راسخ الأركان والقواعد.. بعد أن ألّف بينهم الإسلام، وآخت بينهم العقيدة.. من مهاجرين وأنصار.

مهاجرين فروا بدينهم إلى مأمن يؤدون فيه عبادة خالقهم بدون خوف أو وجل، أو تهديد وأذى.

وأنصار أفسحوا رحبات الدور والمنازل، وأوسعوا الصدور وبسطوا ما يملكون من رزق.

كل ذلك بذل هيناً ورخيصاً من أجل عقيدة جديدة وقرت في قلوبهم، وتعاليم ربانية استولت على مشاعرهم، وعهد أخذوه على أنفسهم في بيعة العقبة الأولى ثم الثانية، لنبي الرحمة ورسول الهداية محمد صلى الله عليه وسلم، عندما وضعوا أيديهم في يده في موسم الحج بأن ينصروه ويمنعوا عنه ما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم.. ومن هنا رسخت تعاليم الإسلام وأركانه في نفوسهم، وأرخصوا النفوس والأموال من أجل الدفاع عن الرسول الكريم ودين الله ثم نشره، ووقفوا أمام شعراء قريش يناوشونهم القول ويرشقونهم بالسهام.

فبعد أن حل محمد صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم في السنة الثالثة عشرة من البعثة استقبله صبيانهم وفتيانهم، ورددت أصداء فيافي طيبة أهازيج، تمثل ذلك النوع الجديد من المجابهة الكلامية بين مكة والمدينة، حيث بدأ الشعر يدخل المعركة دفاعاً ورداً وتفنيداً ثم هجوماً، لما في الشعر من دور في حياة العرب وأهمية كبيرة في أذهانهم.

وتقول تلك الأبيات:-